صـــــورة العــربي في قصص الأطفال الصهيونية

د. حنان عبده أحمد ناصر النويرة

جامعة الحديدة – كلية التربية

الملخص

تناول البحث صورة العربي في قصص الأطفال التي يقوم بإعدادها الصهاينة؛ لتشوية صورة العرب والمسلمين عند الأطفال اليهود؛ لتخدم أغراضهم الاستعمارية التوسعية التي لا تستهدف السيطرة على أرض فلسطين، بل تسعى إلى السيطرة على الوطن العربي من النيل إلى الفرات بما في ذلك مكة والمدينة. وقد حرصوا في سبيل ذلك إلى إظهار العرب في صورة شوهاء، منفرة، ومخيفة، وفي المقابل إظهار اليهود بعكس هذه الصفات، مع محاولة إثبات أحقية اليهود بأرض فلسطين، ووصم العرب بالمحتلين والمغتصبين لأرض فلسطين من سكانها الأصليين وهم – في زعمهم - اليهود .

Abstract

The paper examines the image of the Arab in the stories of children prepared by the Zionists to defame the image of Arabs and Muslims in Jewish children to serve their expansionist colonial purposes that are not aimed at controlling the land of Palestine. They seek to control the Arab homeland from the Nile to the Euphrates, including Mecca and Medina. They tried to prove the Jews' right to the land of Palestine, and to stigmatize the Arabs and occupiers of the land of Palestine from their original inhabitants, who, they claimed, were Jews.

مقدمة:

يرصد هذا البحث ما سجله الصهاينة -في القصص الموجهة لأطفالهم -عن الآخر العربي من أيدلوجيات في كافة مجالات وجوانب الحياة عن طريق ما يسمى الصورولوجيا (Imageology)، أو ما أصطلح على تسميته بعلم الصورة، الذي يهتم فيه الأدب بنقل صورة عن الآخر الأجنبي سواء أكانت صورة أدبية أم غيرها من الصور الفكرية والثقافية والاجتماعية[i]، وتتسم صورة الأجنبي التي يقدمها علم الصورة بالموضوعية، إلا أنّها تعطي أحياناً صوراً مشوهة و غير موضوعيّة، وهذا ما تتميز به صورة الأجنبي في أدب الأطفال الإسرائيلي، لا سيّما الأجنبي (العربي والمسلم)؛ وذلك بسبب الحقد الصهيوني على العرب والمسلمين، ولأطماعهم في السيطرة على الوطن العربي من النيل حتى الفرات، فقد حرصت الصهيونية عن طريق التربية، والثقافة، والأدب المكتوب و المصور على نقل أيدلوجيات خاطئة لأطفالهم عن العرب و المسلمين، وعن دين الإسلام، بل وتفننوا في تشويه صورة العرب و المسلمين لديهم في كافة النواحي والمجالات الخَلْقية و السلوكية و النفسية و الصحية و العقلية و الحضارية؛ ليشبوا وفي قلوبهم الحقد والكره للعرب والمسلمين، و لتظل تلك الصورة ملازمة لهم طيلة حياتهم؛ لأنّ ما يكتسبه الطفل في سنواته الأولى تؤثر بشكل كبير جداً في تكوين أفكاره وشخصيته واتجاهاته المستقبلية إلى حد يصعب تعديلها أو تغييرها بعد ذلك [١] ، وقد وصل هذا التشويه إلى حد جعل أحد الكتاب الإسرائيليين وهو (تمار مروز) ينتقد هذا التوجه فقال عن كتب الأطفال التي تنتشر في إسرائيل" تنتشر في إسرائيل من وقت لآخر ويتخاطفها الأولاد بحماسة، وموضوعها دائماً كيف ينتصر الأولاد الأبطال على العرب المثيرين للضحك والأغبياء الذين يريدون قتلنا من أجل لذتهم الشخصية ... ومن العجيب أن هذه الكتب تكاد تكون الوحيدة التي تختفي من على رفوف المكتبات، فهي لا تكاد تعرض حتى تجد صفاً من الأولاد في انتظارها"[٢]. . ونسب الكاتب نفسه إلى أحد الآباء قوله: "إنه لمذهل حقاً انكباب الأولاد على هذه الكتب التي تتضمن وصفاً مفصلاً للرعب والفاشية والتنكيل وصوراً كاريكاتيرية منفرة عن العرب الذين يوصفون بالجبن والحقارة، لكني لم أفلح في منع الأولاد من قراءتها. إنهم ضحايا تخدير تام "[٣]. إلا أنّهم يدعون على الرغم من كل ما يقومون به من أنّ العرب هم من يقدمون لأطفالهم صوراً زائفة عنهم، بل زعموا أنّ العرب حتى في مسائل الحساب يقولون للصغار على سبيل

المثال "إنّ فلسطينياً قتل إسرائيلياً واحداً، وإنّ سورياً قتل اثنين، وإنّ مصرياً قتل ثلاثة، فما عدد القتلى؟ "(٤) .

وتتميز وسائل تربية و ثقافة الطفل اليهودي في فلسطين المحتلة بأنّها في الوقت الذي تقدم فيه العرب بصورة مشوهة، إلا أنّها لا تزرع الخوف في نفوس أطفالها من هؤلاء العرب؛ حتى لا تثير الخوف في نفوسهم، ولتعطيهم الثقة بأنفسهم، والقدرة على الانتصار، فهي تؤكد دائماً أنّ النصرة لليهود، وتحاول تنمية الشعور لدى الأطفال بالمسئولية في القضاء على العدو العربي، لذلك كله يُعد التعرف على صورة العرب، وما يتصفون به من صفات بشعة في أدب الأطفال الإسرائيلي - لا سيّما القصص؛ لسعة انتشارها، وكثرة تداولها بين الأطفال، وتعلقهم بها على وجه الخصوص- مهماً جداً وضرورياً؛ ليكون هناك أدب أطفال مضاد يوعي الأطفال بطبيعة الصراع العقائدي والحضاري بين العرب واليهود، ويعرفهم بالصفات القذرة التي يحاول اليهود إسقاطها على العرب والمسلمين، وهي في حقيقة الأمر صفاتهم التي يتصفون بها على مر العصور. ومن هذه الصور الآتي:

١- الصورة الخَلْقيّة:

يُقدم أدب الأطفال الإسرائيلي لأطفاله الصغار العربي على أنّه مخلوق متصف بكثير من العيوب الخَلْقية، فيظهره مشوه وفي أبشع صورة؛ لكثرة ما تشتمل عليه من ملامحَ منفرةٍ؛ وذلك كي يبدو في عيون أولئك الصغار ليس مثيرًا للكراهية والاحتقار فحسب، بل للتقزز والاشمئزاز أيضًا.

فالعربي في الكثير من قصص أدب الأطفال الاسرائيلي كقصة (حارس في إسرائيل)ل اليعازر شموئيل يُوصف بأنّ وجهه " طويل أسود، ذو لحية شائبة قليلة الشعر، مدببة ومجدولة"(٥)، وفي قصة أخرى يُوصف بأنّ وجهه "يقطر كراهيةً، والذي لا بد أن يكون فيه شاربٌ كثّ، وندب من جرح، أو عَوَر في إحدى عينيه"(٦). ومن أشهر تلك القصص قصة (الجواسيس الشباب في عملية سيناء)؛ لمؤلفها (حازي لابين)، الملقب بـ(إيدو ستير)، الذي يصف الحارس المصري في لقائه الأول مع بطلها الطفل الإسرائيلي (إيلي)، بقوله: "وتقدَّم نحوه – أي الحارس المصري - خلال الظلام، ما أبشعَ هذا المصريَّ بشاربه الأسود الكثيف، وعينيه القاسيتين اللتين كان ينظر بهما نحوه – أي: نحو الطفل إيلي - كما تنظر القطة إلى الفأر المعلَّق بين مخالبها، ثم سأله: ما اسمُك؟ ورأى

إيلي أسنانَ ذئبٍ مفترس تتبدَّى من تحت شاربه الأسود" [٧]. فالعربي على درجة من دمامة الخَلق لا تُحتمل ولا تطاق، ولا يمكن النظر إليه.

وتشبيه العربيِّ بالذئب يتكرر في قصص الأطفال الإسرائيلية بكثرة، ومن أشهر القصص التي يتردَّد فيها هذا التشبيهُ: قصةُ "داني دين في مهمة مستحيلة"؛ لمؤلفها(أوين سريغ)، وهي واحدة من سلسلة قصص الأطفال المعروفة باسم (عوز يعوز)، التي تعد الأوسع انتشارًا في إسرائيل، ففي هذه القصة يَصف لنا (سريغ) العربيَّ، على لسان بطلها (دانيدان)، بقوله: "هو ذئب ابن ذئب"[٨]. ثم يضيف إلى هذا الوصف سلسلةً من الأوصاف السلبية الأخرى، التي لم تتردَّد الناقدةُ الإسرائيلية(تمار ماروز) في اعتبارها شتائمَ أكثرَ منها أوصافًا، ومن تلك الأوصاف التي تذكر (ماروز) أن شريج أطلقها على العرب، في قصته آنفة الذكر: "وقحون، حمير، باذنجان، جراد، شوك، خنازير" [٩].

٢- الصورة السلوكية والنفسيّة :

لا يظهر العربي في أدب الأطفال الإسرائيلي إلا رجلاً يتصف بالاضطرابات السلوكية والنفسية، ويأتي في مقدمة الاضطرابات السلوكية: صفةُ الجبن والعجز في ساحات القتال على نحو خاص، وعدم الرغبة في التضحية والقتال، وسرعة الاستسلام، وسرعة الفرار. وفي المقابل شجاعة اليهود وإقدامهم، ورغبتهم في التضحية؛ إذ نجد مؤلفي أدب الأطفال الصهيوني يجنحون إلى المبالغات الخيالية، التي لا يمكن لطفل صغير أن يُصدِّقها، إلا أن يكون هذا الطفلُ صهيونيًّا، أفقدَتْه التربية الصهيونية المتعصبة قُدرتَه على التمييز. من ذلك على سبيل المثال: تلك الصورة التي تُكرر على صفحات ذلك الأدب، والتي يُظهر العربُ فيها على الدوام أعدادًا لا حصرَ لهم، يواجهون قلةً من اليهود، ومع ذلك، فدائمًا ينتصر اليهود، والعرب هم الذين ينهزمون! هذا ما يخبرنا به مثلاً "أون سريغ"، الذي ألَّف سلسلة من قصص الأطفال، تزيد على عشرين قصة، وكان قبل أن يصير مؤلفًا، عضوًا في منظمة (ليحى) الإرهابية المعروفة، واسمه الحقيقي شارنما غفتي. ففي إحدى قصص تلك السلسلة، التي يلعب دورَ البطولة فيها كلِّها الطفلُ الإسرائيلي الخارق (دانيدان)، تستطيع جماعة من الأحداث اليهود أن تتغلَّب - بسهولة فائقة - على عصابات عربية؛ بل على جيوش عربية نظامية، ثم يمضي مؤلِّفُ هذه السلسة في مبالغاته اللاواقعية راويًا لقُرَّائه كيف تسلل(دانيدان) إلى مصر؛ "ليضع علبةً، ربط عليها بطاقة مشدودة إلى صندوق بخيط مطاطي، وكتب عليها: (علبة الموت)، فإذا

همس في أنبوبتها شعاراً معيَّناً، لا تعرفه إلا القيادةُ العامّة للجيش الإسرائيلي، انفجرتْ ودمَّرتْ كلَّ أرض العدو بسكانها"(١٠).

أما رد فعل المصريين على هذا الهجوم، فيصوره لنا "سريغ، في هذه القصة بقوله: "هيا نهرب! صاح ناصر، وبدأ يفرُّ، لكن سرعان ما وقع على الأرض، نهض ناصر على الفور، وواصل الفرار، وفرَّ جميع الحاضرين مثله، يا الله! كان يجب أن تشهدوا مثل هذا الفرار"(١١) فقد واجه المصريون هذا الهجوم بعمل جبان وهو الفرار من المعركة .

وبعد أن يَفرغ (سريغ) من مبالغاته اللاواقعية هذه، ينتقل بقرائه إلى العالم الداخلي لبَطلِه (دانيدان)، لنسمعه وهو يخاطب نفسه، مفتخرًا بما أنجز: "لقد قمتُ بواجبي على أحسن وجه، ومن الآن لن يجرؤ المصريون على شن حروب ضدنا"(١٢). وفي قصة (دانيدان يبحر في البحر) يقدم المؤلف (أون سريغ) شخصية البطل (دانيدان) الذي أبلى بلاءً حسناً - في زعمهم - ليس فقط في البر في الاستيلاء على الدبابات فحسب، ولكن في البحر أيضاً، جاء في القصة:" لقد أبحر في زورق مع أربعة شبان، فقابلوا غواصة مصرية تتجه نحوهم..صوب الملاحون المصريون مدافعهم الأتوماتيكية الصغيرة إليهم... حينئذٍ دخل دانيدان في العملية، وقام بقذف البحارة في البحر، وتبعهم بالربان والضباط، الذين صعدوا على السفينة في أعقاب الفلاحين" ويستطرد المؤلف في وصف بطولة دانيدان فيقول: "كان القبطان يرتدي بدلة عسكرية أنيقة، مملوءة بالنياشين الذهبية الجميلة... فألقى دانيدان به أولاً في الماء... ثم ألقى وراءه في الماء واحداً إثر الآخر... كل الذين جاءوا مع القبطان... فامتلأت مياه البحر برعاع مصر وهم يرتجفون"(١٣) . وتصف قصة (الشرطة السريون الشبان يستوطنون في النقب العاصف) للمؤلف (أفنير كرملي) البطل اليهودي (السوبر) وبطولاته ويعطي مثال على ذلك البطل (إيلي) الذي نجح في التغلب على فئات عديدة من العرب، من بينهم رؤساء وملوك وقادة عرب، وانصاعوا جميعاً لأوامره، ويعلل الكاتب ذلك بقوله: " وما الغريب في أن ينجح فتى في السيطرة على ملوك ورؤساء إذا كانت جيوشهم ضعيفة... وكل ما يتعلق بجيوشهم ينم عن الجبن"(١٤) .

وفي قصة "خريف أخضر"، وهي قصة تحكي قصة أسير عربي متقدِّم في السن، وقع في أيدي الجنود اليهود، تُبرِز القصةُ شخصيةَ الأسير العربي كشخصية هزيلة جبانة،

يُفضي بأسرار بلده من شدة الخوف والجبن، من دون أن يطلبها منه أحدٌ، ويُصرُّ في تذلُّل على تقبيل أيدي الجنود اليهود، في حين يمتنع اليهودي من الموافقة على ذلك التقبيل! وفيها جاء هذا المقطعُ على لسان الجندي اليهودي: "لقد نفَّذ كلَّ ما أمرتُه به، أحضَرَ الماء، كما قام بمهمات مختلفة كنتُ أكلِّفه بها، وكان يعود في كل مرة كالكلب العائد إلى كوخه!" (١٥) ، الأكثر من ذلك أنّ الجنود اليهود يستخدمون هذا الأسير العربي - في نهاية القصة - مع كلاب الألغام، وينفجر به لغم، فيقوم الجنود اليهود بإحراق جثته. وقد علق أدير كوهين على كتب الأطفال التي تناولت موضوعات الحرب والمعارك فيقول: " إنّ معظم كتب الأطفال التي تتحدث عن الحرب هي كتب سطحية للغاية، وتهدف إلى تلطيخ سمعة العرب، والسخرية من جبنهم ومن أسلوبهم في القتال، والإكثار من وصف وحشيتهم، في مقابل الإشادة بالمقاتلين اليهود وبطولتهم وجرأتهم وحيلهم وسرعة بديهتهم"(١٦)، وهذا يعني أنّ المبالغة في وصف العربي بصفات الذل والجبن في قصص الصهاينة الموجهة للأطفال تهدف إلى تشويه سمعة العرب إلى أقصى حد ممكن، و طرد الخوف من قلب الطفل اليهودي إزاء أعداءه العرب، وبث في داخله الثقة بالنفس والاعتداد بها. كما أنّ هناك أهداف أخرى لم يذكرها كوهين وهي تبرئة العصابات الصهيونية وإسرائيل وقادتها ومن يدعمهم من مسئولية احتلال أرض فلسطين، وتشريد شعبها، ومن ثمّ إلقاء المسئولية كلها على كاهل العرب الجبناء- بزعمهم_ الذين يفرون تاركين أرضهم ووطنهم لليهود من دون أي إحساس بالوطنية .

ومن الصفات التي يسقطونها على العرب صفة التخريب، فالعرب يهدفون دائماً إلى الاعتداء على اليهود، وتخريب كل ما يملكون كما في قصة (الثلاثة في أسر الفدائيين) للمؤلف(يجال جالون) التي يقول فيها " خرجت مجموعات من الأطفال الإسرائيليين في نزهة في إيطاليا... هناك تقابلوا مع مجموعة من المخربين، الذين كان هدفهم الاعتداء على المتنزهين الإسرائيليين في أوروبا وتخريب سياراتهم" (١٧).

والعرب أيضاً في قصص الأطفال مخادعون ومكّارون وخبثاء ففي قصة (المتصارعون من الحدود الشمالية) يسعى المؤلف (عوديد بيتسر) أن يغرس الخوف من العرب في قلوب الأطفال اليهود ويظهر ذلك من خلال حديث دافيد لرامي: " إياك أن تتحرك يا رامي... فالفدائيون سيخرجون الآن من المغارة... ولكن لا أحد يضمن أن لا يحاولوا الفرار. إنهم قد يتظاهرون بالاستسلام، ويحاولون بعد ذلك أن يشقوا لهم طريقاً للفرار ويجب أن لا تثق بهم، فقد شاهدت ذات مرة سته من العرب يخرجون من مخبئهم

وأيديهم مرفوعة، وعندما اقتربت منهم ظهر من خلفهم عربي سابع، وألقى بقنبلة يدوية"[١٨]. والعرب في قصة (قيثارة داود) للمؤلف(فيرح فنحاس) " قتله، سفاحون، متمردون، حيوانات مفترسة، وتافهون محتقرون" [١٩] . وهم معتدون وحاقدون على اليهود بشدة، ويكرهونهم، ويريدون إبادتهم، و لا يتورعون حتى عن قتل الأطفال والنساء و يظهر ذلك في عدة قصص منها قصة (المجموعة الجريئة تطارد الفدائيين) التي تتحدث فيه المؤلفة عن الدمار الذي أحدثه الفدائيون في المستوطنات اليهودية حيث تقول:" كان مجموعة من الأطفال يخرجون في نزهة، ونجوا في آخر لحظة من انفجار قلم حبر كانوا قد عثروا عليه... ويحكي الطفل (تسيون) عن الفدائيين الذين يضعون المواد المتفجرة في أرغفة الخبز والبطيخ... ويضيف يجال معلومات عن علب الأغذية المحفوظة، ذات الشرك الملغمة، وأجهزة الراديو، والساعات التي يضعون في داخلها شحنة ناسفة... ويتحدث موشيه عن الفدائيين الذين يقتلون أيضاً النساء والأطفال الرضع"[٢٠] . وورد في كتاب (عوزيعوز) للكاتب (عيد وسيتر) قصة يقول فيها: "رمضان قائد عربي، يجلس وهو يضحك ضحكة شيطانية للغاية، يُنظف أنفه بمنديل وردي، ثم يفتح منضدته ويُخرج خنجراً دمشقياً مصقولاً يُداعبه وهو يُفكر متلذذاً بأنه بعد قليل ستهتز (إسرائيل) حينما يبدأ الذبح النهائي، وقد رأى في خياله كيف سافر إلى تل أبيب بسيارة مكشوفة وحوله أنهار من الدم والعرب جميعاً يلهجون بأغنية واحدة (سنُجهز على العدو من وسط الظلام بكل قوتنا، لأنه ليس لنا من لذة، سوى لذة القتل) " [٢١]' ثم يُخاطب الكاتب الأطفال بقوله: "هكذا يا أصدقاء نصل إلى دليل، إلى أنّ الحرب ما زالت حية في نفس العدو – بمسدس، بسكين، أو بقبضتين حديديتين، صدقوني إنها ليست لعبة للتسلية، إنها حرب حياة أو موت وفيها قانون واحد: من أراد قتلك فعجّل بقتله" . وفي أوروبا روجت الصهيونية كتاباً ملوناً للأطفال اسمه (داود الصغير) أو (حكاية اسرائيل تروى للأطفال) وطبعت منه إحدى دور النشر ملايين النسخ، ويتحدث هذا الكتاب عن داود الصغير الذي استطاع خلال آلاف السنين أن يواجه اضطهاد العالم من رومان وفرس وعرب ...الخ، ويصور هذا الكتاب العرب في مظهر المعتدين، ويربط بين العرب وهتلر[٢٢]. والعربي غدار لا تفارقه هذه الصفة، حين يتمكّن من منها، و سَفَّاح لا رحمة في قلبه؛ بل هو يَقتل من أجل التلذُّذ بالقتل

أحيانًا، كما يؤكِّد معظمُ مؤلفي قصص الأطفال في إسرائيل، داعين أولئك الأطفالَ إلى المبادرة لقتل العربي الغادر، السفاح؛ نجد ذلك مثلاً في قصة بعنوان (غبار الطرف) جاء فيها على لسان يهودي، ينصح يهوديًّا آخرَ: "العرب مثل الكلاب؛ إذا رأَوا أنك مُرتَبك، ولا تقوم بردِّ فعل على تحرشاتهم، يهجمون عليك، وأما إذا قمتَ بضربهم، فإنهم سيهربون كالكلاب"(٢٣) ، والعربي وحش مفترس، متعطش للدم كما تؤكد ذلك المؤلفة(استرا شترايت فرتسل) في قصة (الهرب) حيث تقول: "لقد تحول العرب في الحقيقة إلى وحوش مفترسة متعطشة للدم" (٢٤).وهو في قصصهم مجرم، كما في قصة (حازي لوفبان) فهو يخرج (مجرمًا من بطن أمِّه)، بدليل أنّ بطل إحدى قصصه الذي ولد في يافا "قضم أذن أمه بِعَضَّة، وهو ما يزال في الثانية من عمره، وفي السابعة هوى بكرسي على رأس معلِّمته، وهو يقول لها بأنّ حاصل ضرب اثنين باثنين هو خمسة، وفي العاشرة دفع عمَّه تحت دواليب سيارة مسرعة؛ لأنّه لم يكن لديه ما يفعله في تلك اللحظة، ماذا أقول؟! هذا الأهوج المشوش، تطور سريعًا، وأصبحت له في العاشرة من عمره عصابةٌ خاصة به؛ لأنّه أحبَّ أن يقرر بنفسه: من يقتل؟ ومن يسلب؟" (٢٥). والعربي ينزع دائماً إلى السلب، والنهب، واغتصاب النساء اليهوديات، وليس له أي دافع وطني، أو حرص لحماية الأرض أو العرض، أو الأهل، فـهذا (أفنير كرميلي) يرجع سببَ تطوُّع كثير من الشبان العرب للقتال ضد اليهود، إبّان عام ١٩٤٨، إلى رغبتهم في الحصول على إحدى النساء اليهوديات الجميلات الموجودات في الكيبوتسات اليهودية، واغتصابها، وبهذا ينفي الأديبُ الصهيوني عن العرب أيَّ شعور ديني أو وطني، ويجعل هدفهم في كل المعارك التي خاضوها ضد اليهود محصورًا في سلب أموالهم، أو اغتصاب نسائهم(٢٦) ،

وتهدف قصص الأطفال الاسرائيلية من وصف العربي بالصفات السابقة إلى زرع الكراهية الشديدة في نفوس الأطفال اليهود اتجاه العرب، و تحريضهم على الأخذ بالثأر

والانتقام منهم؛ بسبب ما يقومون به- في زعمهم - اتجاه اليهود أصحاب الأرض الحقيقيين.

فضلاً عن تصوير العربي بالمضطرب سلوكياً فهم يظهرونه أيضاً في صورة المضطرب نفسيًّا، من ذلك ما يدّعونه من عجز العربي عن مواجهة الواقع، وعدمِ القدرة على الاعتراف بالحقيقة أو مواجهتها، وهما عيبانِ يؤديانِ إلى خصلة سلوكية بالغةِ السوء، هي الكذب، الذي يزعم أولئك الأدباءُ أنّه من (طباع العربي) الثابتة، التي لا شفاءَ له منها، و من ذلك أيضاً(فرديته المفرطة)، التي يزعمون أنها ثمرةُ (أنانيته وحبِّه للظهور)، و هم يبرزون هذه العيوب النفسية التي يدّعونها كعيب نفسي مزمن، ويتخذون ذلك وسيلةٌ إلى طمأنة الطفل اليهودي بأن احتمال قيام وحدة عربية، هو احتمال مستحيل، مع وجود حب الذات الأمر الذي يعني بقاء دولة إسرائيل فوق الأرض العربية التي احتلتها إلى ما لا نهاية . وينتج عن تلك العيوب النفسية أيضاً عيوب سلوكية أخرى ملازمة لها منها الجشع، والحسد، والأَثَرة، والحقد على الآخرين وكراهيتهم، والكسلُ الناجم عن الاتِّكالية(٢٧)، التي يزعمون أنّ المسلمين قد اكتسبوها من الدين الإسلامي. كما أنّهم يصفون العرب بحب النساء، وبالإقدام على السرقة، والتسول، والخيانة وعدم التردد في ذلك من أجل الوصول إلى ما يريدون. ومن الملاحظ أنّ كل تلك الصفات يشتهر بها اليهود، إلا أنّهم يحاولون إلصاقها بالعرب والمسلمين ونفيها بالمقابل عن اليهود .

وبهذا يكون الأدب الصهيوني قد قام بعملية خداعٍ نفسية للطفل اليهودي؛ وذلك حين حوَّله عندما يشب بتلك الادعاءات التي بثها فيه عن العرب إلى قاتلٍ متوحِّش يظنُّ نفسه وهو يقتل ويسفك الدمَ العربي بطلاً حضارياً تارة؛ إذ يقاتل أناسًا يدمِّرون الحضارة ويحاربونها، ولا يفهمون سوى لغةِ واحدة، هي لغة القوة والبطش. وتارةً أخرى يندفع إلى القتل؛ انتقامًا لمَن قَتَلهم العربُ من بني جلدته. والهدف النهائي لكل هذا هو تحويل ذلك القارئِ (الطفل ــــــ الشاب) اليهودي المخدوع، إلى شخصية حاقدة مشتعلة بالحقد على العرب؛ لتحقيق الأهداف العدوانية التوسعية لإسرائيل، الملتهبة طمعًا بالأرض العربية.

إنّ أديب الأطفال الصهيوني ظلَّ يُرسِّخ الصفاتِ السيئة في نفسية أولئك الأطفال، حتى صاروا إذا أرادوا وصفَ عملٍ سيئ، قالوا عنه: إنّه(عمل عربي)، وإذا أراد أحدهم أن يصور جبانًا، قال: "إنّه يتصرَّف مِثلَ عربي"، كما يَذكُر أدير كوهين (٢٨).

أمّا فيما يتعلق بحسنات العربي؛ فالعربي الإيجابي و الصالح - في رأي "أفنير كرميلي" - هو العربي الميِّت، أو العربي الذي انصهر في الشعب اليهودي، كما يؤكد في قصته "الرياضيون الصغار يعودون"(٢٩) . ومع ذلك فإنهم يضعونه في مرتبة ثانوية قياساً للإنسان اليهودي(٣٠) .

٣- الصورة من الجانب الصحي:

يعمد أدب الأطفال الإسرائيلي إلى إظهار العربي في ملابسَ قبيحةٍ قذرة؛ بهدف زيادة تنفير الطفل الإسرائيلي منه، وزيادة احتقاره وكراهيته له. فالعربي في أدب الأطفال الإسرائيلي "يرتدي عباءة سوداء ثقيلة وممزقة، كان رأسه ملفوفاً بمنديل قديم ملئ بالعرق والغبار، يرتدي في قدميه صندلاً ممزقاً"(٣١) و يرتدي السروال، والكوفية، والعقال، التي يَعدُّها أدباء الصهيونية وإسرائيل من أبرز الدلائل على بداوته و عدم معاصرته، على نحو ما جاء ذلك في قصة تُدرس في مناهج التعليم عند الصهاينة، بعنوان: (القرية العربية)، فمؤلِّفُها يقرر أنّ "شروط النظافة والمحافظة على الصحة تكاد تنعدم بين العرب، والإجراءات الصحية التي لا يستطيع الإنسان العيشَ ساعة واحدة بدونها غيرُ متوفرة في أي قرية عربية، حتى في القرى الكبرى الغنية، ولعدم وجود المراحيض؛ يقضي العرب حاجاتِهم في أي مكان، فالأولاد يقضون حاجاتهم في الساحة، أو في الحظيرة، أو في البيت، أمّا الكبار فيأخذ الواحد منهم إبريقًا ويخرج إلى الحقل، وعادةُ الاستحمام تكاد تكون غيرَ مألوفة عند العرب، فهناك بعض الفلاحين الذين لم يمسَّ الماءُ أجسادَهم منذ زمن طويل، وهناك مَثَلٌ عند العرب يقول: "الطفل الوسخ أصح وأشد"!

العرب يرتدون الثياب، ولا يغيّرونها إلى أن تبلى، حيث يغدو مليئًا بالقمل والبراغيث، ويكلح لونه، والعربي صانع القهوة يبصق في الفناجين؛ كي ينظفها! "(٣٢) .

٤- صورة التخلف الحضاري (العداء للحضارة وللتحضر):

تقول "جيئولا كوهين" زعيمةُ حركة "هتحِيًّا" اليمينية العنصرية المتطرفة، سابقًا، في إحدى قصصها الموجَّهة لأطفال إسرائيل عن العرب إنّهم "متخلفون ورعاع، العرب إرهابيون قَتَلة، يخطَفون الأطفال، يغتصبون النساء، يتربَّصون بنا من كل جانب، يريدون إبادتَنا، لقد جاؤوا غُزاةً لأرضنا - أرض آبائنا وأجدادنا - يريدون الاستيلاء على منازلنا الجميلة، وحدائقنا الخضراء، يريدون سلب حقوقنا التاريخية"(٣٣). وهي بذلك تسعى إلى زراعة الكراهية والحقد على الإنسان العربي في قلوب أطفال إسرائيل، وتُحرِّضهم على قتله دون رحمة؛ للحيلولة دون تمكينه من تدمير ما تسميه (منجزات آبائهم الحضارية فوق أرض فلسطين).

ولا يتوقف الكاتب العنصري (أفنير كرميلي) عند اتِّهام العربي بالعداء للحضارة، والرغبة في تدميرها فحسب، بل يتَّهمه - أكثر من ذلك - بالعداء للتَّحَضُّر، ومحاربة كل مَن يحاول إخراجه من بؤر التخلُّف التي يغوص فيها إلى شحمة أُذنيه، مؤكِّدًا – بالمقابل - (الطابع الحضاري) للصهيونية، و(رسالتها المدنية) إلى ما يسميه (أرض إسرائيل)، يظهر ذلك واضحًا من خلال زعمه في إحدى قصصه أن أفراد الكيبوتس "كانت غايتهم جلبَ البركة والتطور، ليس لليهود فحسب، وإنّما أيضًا للفلاحين العرب الحمقى، المستغَلِّين استغلالاً بشعًا من قِبَل أسيادهم الأفندية"(٣٤).

ولا يكتفي مؤلفو أدب الأطفال الصهيوني ببثِّ مزاعمهم عن تدمير العربي للحضارة، وعدائه للتحضر في سلاسل قصصهم، وإنما تمتدُّ أيديهم بهذه الفكرةِ إلى قصصٍ تدرس في مناهجهم التعليمية، ففي إحدى هذه القصص - وعنوانها "افرات" - نجد واضِعَها يتهم العرب بتخريب الحضارة اليهودية المزعومة في فلسطين، وبعدائهم للمهاجرين اليهود الذين جاؤوا لتعليمهم الحضارة، فإذا بهم بدلاً من أن يشكروا أصحابَ هذه (البادرة الإنسانية)، اعتدوا عليهم بالسيوف، فنقرأ فيها: "لقد أتى العربُ أعمالاً وحشية ضد اليهود، بحيث بدا العربيُّ كأنّه لا يَعرف معنى الرحمة أو الشفقة، فالقتلُ والإجرام غريزةٌ

وهواية عنده، حتى صار لون الدم من أشهى ما يشتهيه، لقد باغَتَ العربُ اليهودَ واعتدَوا عليهم كالحيوانات المفترسة، وراحوا يَسلبُون ممتلكاتهم، حتى المدارس والمعابد الدينية لم تَسلَم من بطشهم، نساء وفتيات اليهود تعرَّضْنَ للاغتصاب من قِبَل العرب؛ لأجل إشباع نزواتهم"(٣٥)!

وشبيه بذلك ما جاء في قصة أخرى بعنوان: (مقاصد الأثر من الحدود الشمالية)، على لسان إحدى الشخصيات اليهودية فيها: "أي نوع من الرجال هؤلاء العرب؟! لا يقتلون إلا العزَّلَ من الأطفال، والنساء، والشيوخ! لماذا لا يقتلوننا نحن الجنود؟!"(٣٦).

٥- صورة التخلف العقلي:

تصور قصص الأطفال الإسرائيلية العرب أغبياء، ومثيرين للضحك، يريدون قتل اليهود من أجل لذاتهم الشخصية، وهذه القصص هي الوحيدة التي تختفي من على رفوف المكتبات، وينتظرها الأطفال في إسرائيل بشوق ولهفة شديدة (٣٧). وفي الوقت نفسه ترسخ قصصهم مقولة تفوق العقلية اليهودية في وجدان الأطفال، ومن تلك القصص القصة التي ألفها بهواش (البطل من قفص الأسود) وفيها يتحدث عن البطل اليهودي (لوليك فيا نبرج) الذي استخدم عقله، واستطاع أن يتغلب على العرب بالدهاء والذكاء. فتحكي القصة أن (لوليك فيا نبرج) كان يعمل في مستعمرة (ريشون ليستيون) حارساً لها من هجمات العرب واعتداءاتهم على المستعمرة، وأن لوليك هذا كان ينتصر على العرب بفضل جرأته وذكائه، فجاء في القصة: " كان الجميع يعلمون كيف تمكن رجال (ريشون ليتسيون) وعلى رأسهم لوليك من إحباط أعمال السرقة التي كانت تقع على الطريق، ففي الأيام الأولى للمستوطنة كان الطريق بينها وبين يافا محفوفاً بالمخاطر ... وكان قطّاع الطرق المسلحون يهاجمون المسافرين، ويسلبونهم كل ما يملكون ... فماذا فعل لوليك؟ لقد قام بتجميع عشرة شبان شجعان وأقوياء ... وزودهم بالسياط الطويلة وأجلسهم في عربة كبيرة، وغطاهم بالحصر، وقام هو بقيادة العربة إلى يافا ... وعند وصوله إلى الطريق الترابي أحاطت بالعربة مجموعة من اللصوص، وأمرت لوليك بالتوقف، وفك الخيول لسرقتها... فنزل لوليك ببطء وانحنى وتظاهر بأنه سيلبي مطالبهم، وأطلق صفارة متفقاً عليها ... وعندئذ قفز الشبان المختبئون من العربة، وطوقوا اللصوص وانهالوا عليهم بالسياط، إلى أن ارتفع صراخ اللصوص لدرجة تصم الآذان، وألقوا القبض عليهم،

وقيدوهم بالحبال وأخذوهم وسط مظاهر الفرح بالنصر إلى المستعمرة ... وقد أدى هذا العمل الذي قام به لوليك إلى القضاء على ظاهرة السلب في الطرق فترة طويلة ... وحكى العرب ما شاهدوه لجميع القرى، ومضارب البدو، واشتهر لوليك ببطولته وشجاعته"(٣٨). كما تصور قصصهم العرب متخلفين كقصة(سكران في صحة الجميع) التي يركز فيها الكاتب (يفرح حبيب) على هذه المقولة من خلال إبراز عملية إيمان العرب بالجن والشياطين، يقول فيها على لسان الشيخ البدوي: " جن جن شيطان حل بأبني" (٣٩) وعندما شفي ابنه قال: " اشاروا علي وهم يقولون إنّ الشيخ مبسوط، الحمد لله، إنّ الجن هرب في الصباح(٤٠) .

وفي الأخير يدعونا كل ما سبق إلى ضرورة أن نحمي أطفالنا من هذا الحقد الصهيوني المتجذر في أعماق التاريخ لأسباب تاريخية دينية، وأخرى نفسية تتلخص في وجود عقدة لدى اليهود تسمى بشعب الله المختار فهم – في نظر أنفسهم فقط-شعب الله المختار، **و قد فسرت جورج إليوت في كتابها (دانييل ديروندا) اصطلاح شعب الله المختار ، بأنّ الله قد "اختار اليهود لينقذوا الإنسانية، فوجود اليهود هو وجود في سبيل الشعوب الأخرى**" (٤١)**. بينما يرى غيوتن أستاذ الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية " أنّ أسبقية الدين اليهودي تعطي الإنسان اليهودي أسبقية في الوعي و القيمة على بقية البشر"** (٤٢)، و بذلك تكون الشعوب الأخرى دونهم في كل شيء، بل هم عبيد لهم، لهم الحق في أن يفعلوا ما يحلو لهم. ولن نستطيع أن نحمي أطفالنا إلا بإيجاد ثقافة و أدب مضاد للثقافة والأدب الصهيوني؛ ليستطيع أطفالنا (شباب المستقبل) أن يواجهوا الهجمة الصهيونية الشرسة، وأن لا يُخدعوا بما يحيكه لهم الصهاينة من مؤامرات ودسائس من خلف الستار، لا سيّما أطفالنا في أرض فلسطين المحتلة .

الخاتمة

سعى هذا البحث وبشكل موجز إلى معرفة صورة العربي في قصص الأطفال الصهيونية، وقد توصل هذا البحث إلى أنّ الصهاينة يسعون بوساطة ثقافة وأدب الأطفال -لا سيّما القصص- إلى عرض صور مشوهة عن العرب والمسلمين في كافة المجالات؛ لتربية جيل يهودي حاقد على العرب والمسلمين، يسعى إلى الثأر والانتقام منهم، وفي الوقت نفسه لا يخشاهم بل يحتقرهم، ويزدريهم، وينظر لهم نظرة دونية؛ كلّ ذلك؛ ليحقق الصهاينة بهذه الأجيال اليهودية المتصهينة حلمهم في السيطرة على أرض فلسطين كاملة (أرض الميعاد والأرض المختارة) بزعمهم، ليس ذلك فحسب بل و إقامة دولة إسرائيل الكبرى؛ وليبق العداء والكره الديني والتاريخي للعرب والمسلمين متوارثاّ لديهم جيلاً بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وبناءً على ما سبق يُعد من الضروري أن يُواجه أدب الأطفال الصهيوني بأدبٍ عربي للطفل على المستوى الرسمي وغير الرسمي تكون مهمته الآتي:

١. إظهار الصورة المشوهة التي يعرضها أدب الأطفال الصهيوني للعربي، والرد عليه بإظهار الصورة الحقيقية المشرقة التي يتحلى بها العرب والمسلمون، على أن يكون ذلك على المستوى العربي والعالمي.

٢. تعريف الأطفال العرب، وأطفال العالم جميعاً بالحقد الصهيوني، وأسبابه، وأطماعه، في العالم على وجه العموم، وفي الوطن العربي على وجه الخصوص .

الإحالات والهوامش:

١) ينظر معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت/ شوسبريس، الرباط، ط١، ١٩٨٥م، ١٣٧ .

٢) أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائطه)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة /بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية، بغداد، د. ط، ١٩٧٧م. ص١٢٤.

٣) مرجع المرجع نفسه، ص١٢٤ .

٤) الاتجاهات الايدلوجية في أدب الأطفال العبري، سناء عبد اللطيف، رسالة دكتوراه غير منشورة، عرض وتلخيص: عبد الله الطنطاوي، دار يمان، عمان، ١٩٩٤م، ص ١ .

٥) المرجع نفسه، ص١١٦.

٦) كيف يصورون العربي في قصص الأطفال الإسرائيلية، أدير كوهين، صحيفة الاتحاد الحيفاوية، العدد ٣٣/١٧، ١٩٧٦/٧/٩م.

رابط: www. Alukah.net/publications_competitions/0/5353/

٧) المرجع نفسه .

٨) العنصرية في أدب الأطفال الإسرائيلي، تمار ماروز، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ع/٢٦،٢٠ تشرين الأول،١٩٧٤م، نقلاً عن ملحق صحيفة هآرتس، ١٩٧٤/٩/٢٠م.

رابط: www. Alukah.net/publications_competitions/0/5353/

٩) المرجع نفسه .

١٠) المرجع نفسه .

١١) أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائطه)،مرجع سابق، ص١٢٥ .

١٢) المرجع نفسه، ص١٢٥.

١٣) المرجع نفسه ص١٢٥ .

١٤) الاتجاهات الايدلوجية في أدب الأطفال العبري، مرجع سابق، ص٩٢-٩٣ .

١٥) نفسه، ص٩٣ .

١٦) العنصرية في أدب الأطفال الإسرائيلي، مرجع سابق .

١٧) الاتجاهات الايدلوجية في أدب الأطفال العبري، مرجع سابق، ص١٥.

١٨) نفسه، ص١١٩ .

١٩) نفسه ص١١٥.

٢٠) نفسه ١١٩ .

٢١) ينظر أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائطه)، مرجع سابق،ص١٢٧- ١٢٨.

٢٢) www.alsaher.net/mjales/t14474.html

٢٣) العنصرية في أدب الأطفال الإسرائيلي، مرجع سابق .
٢٤) الاتجاهات الايدلوجية في أدب الأطفال العبري، مرجع سابق، ص١١٣ .
٢٥) كيف يصورون العربي في قصص الأطفال الإسرائيلية، مرجع سابق .
٢٦) المرجع نفسه.
٢٧) ينظر: www. Alukah.net/publications_competitions/0/5353/
٢٨) كيف يصورون العربي في قصص الأطفال الإسرائيلية، مرجع سابق.
٢٩) العنصرية في أدب الأطفال الإسرائيلي، مرجع سابق .
٣٠) أدب الأطفال الاسرائيلي المعاصر، مرجع سابق، ص١١٦ .
٣١) الأسس الأيدلوجية للأدب الصهيوني، ص٢٣٦ رابط:
www.diwanalarab.com/spip.php?article2164
٣٢) كيف يصورون العربي في قصص الأطفال الإسرائيلية، مرجع سابق .
٣٣) أفنيري يناقش مؤلفات جيئولا وكارميلي، أوري أفنيري، مجلة هعولام هزه، العدد ٢٢٨٩، ١٩٨١/٧/١٥، نشرت مترجمة إلى العربية، في صحيفة الدستور الأردنية، بتاريخ ١٩٨٢/٥/٢١. رابط:
www. Alukah.net/publications_competitions/0/5353/
٣٤) العرب في عينة من أدب الأطفال الصهيوني، مرجع سابق . رابط:
/www. Alukah.net/publications_competitions/0/5353
٣٥) كيف يصورون العربي في قصص الأطفال الإسرائيلية، مرجع سابق .
٣٦) المرجع نفسه .
٣٧) أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائطه)، ١٢٤.
٣٨) المرجع نفسه، ص٢٨ .
٣٩) المرجع نفسه، ص٣٧ .
٤٠) المرجع نفسه، ص٣٧ .
٤١) أدب المقاومة في الأرض المحتلة، غسان كنفاني، ص٥٧. رابط:
www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=36059
٤٢) المرجع نفسه، ص٦٠ .